الماسونية فى بداية القرن الأول الميلادى، خاصة عندما بشر المسيح بزوال الهيكل ، قام هيردوس الثانى بالدعوة إلى إنشاء جمعية سرية باسم (القوة الخفية) وتتلخص مهمتها فى القضاء على المسيحية وأتباعها ، ثم لما ظهر الإسلام استهدفوه كالمسيحية.(١)

ويمكن حصر هدف الماسونية فى محاربة الدين والمتدينين وهم يصرحون بذلك صراحة دون مواراة فمن أقوالهم: (يجب أن يتغلب الإنسان على الإله ، وأن يعلن الحرب عليه... يجب أن لا ننسى بأننا الماسونيين أعداء الأديان ، علينا أن لا نألوا جهداً فى القضاء على مظاهرها ...إننا لا نكتفى بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، وإنما غايتنا الأساسية هى إبادتهم من الوجود)(٢).

ومن صور النيل من الإسلام ، التشكيك فى مصادر الوحى الإلهى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

فزعم المستشرقون أن القرآن لم ينزل من عند الله – سبحانه وتعالى – وإنما هو من عند محمد ، سمعه من بحيرا الراهب ، خاصة ما فيه من تاريخ وقصص ، وتأثر باليهود فى المدينة ، فجاء القرآن المدنى أقوى من القرآن المكى.

والمستشرقون يتناولون هذه الفكرة كأنها حقائق مسلمة فى نظرهم ، لقنها الأساتذة للتلاميذ ، وسطروها فى كتبهم وأبحاثهم ، ومن

---

(١) انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة د/ على جريشة صـ٢٢٨. ط/ دار الوفاء الثالثة سنة١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٢) أسرار الماسونية صـ ٤٨.

العجيب أن نجد تلامذتهم من المسلمين يرددون نفس الأفكار فى بلاد المسلمين يقول د/ صادق أمين: (فطه حسين فى كتاب الشعر الجاهلي الذى حاول إنكار ربانية القرآن ، وادعى أن رقة القرآن المدني راجعة إلى تأثير اليهود فى المدينة، وكان يحرض طلبته على نقد آيات القرآن الكريم بإعطاء رأيهم فى قوتها أو ضعفها ، بل ادعى أن الدين من الأرض ولم ينزل من السماء واستهل حياته الأدبية بإنكار وجود إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وقال للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى)[1].

وتتابعت هجمة المستشرقين على السنة النبوية الشريفة ، بالدليل من أحاديثها، والطعن فى رواتها ؛ فكان التشكيك والطعن منهم فى سيدنا (أبى هريرة) والسيدة (عائشة) رضى الله عنهما.

وكتب تلاميذه المستشرقين من العرب بعض الكتب التى تشكك فى السنة، منها ما كتبه أبو ريا (أضواء على السنة المحمدية) وكتب صالح أبو بكر (تنقية البخاري من الإسرائيليات) وكتب عبد الوراث كبير (راجعوا البخاري ليس كل ما فى البخاري صحيحا).

والسنة هى المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ، فإذا ما تطرق الشك إليها ، واتهم أغلبها بالضعف والوضع – وهذا ما يبغيه المستشرقون – فكيف تفهم أحكام القرآن الكريم العامة ، أو المجملة، دون الرجوع إلى السنة النبوية المطهرة ، المصدر الثاني للتشريع.

---

(١) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية د/ صادق أمين صـ١٦،١٧.

ويكشف أ / عبد الرحمن الميداني عن أهداف الاستشراق بصورة مجملة فيقول: (أهداف الاستشراق الأساسية الرامية إلى تشويه الإسلام ، وتشويه التاريخ الإسلامي ، ووضع الشبهات ، وتصدير الأدلة لها ، وتوجيه الانتقادات الملفقة إلى أحكام الإسلام وشرائعه، وتتبع الأخبار الساقطة ، والأقوال الضعيفة المردودة ، وتفسير الظواهر تفسيراً مادياً بحسب ما يروق لهم ، وشرح النصوص القرآنية على أساس أن القرآن ليس من كلام الله ، وليس كتاباً منزلاً ، وشرح الأحاديث النبوية على أساس أن محمداً عبقري من الناس ، وليس برسول كسائر الرسل ، وتعليل الفتح الإسلامي بالرغبات الشخصية الممائلة للرغبات التى توجد عند الاستعماريين ، وإيعاد كل دافع ديني إسلامي عن كل حدث تاريخى للمسلمين ، ومحاولات التحريف فى النصوص عند الاستشهاد بها ، واللجوء إلى المغالطات الكثيرة لدى مناقشة الموضوعات الإسلامية فى مدى تاريخهم الطويل، والتشكيك بصحة الأحاديث المروية بتوجيه المطاعن إلى رواة الحديث ولو كانوا من أصحاب الرسول ﷺ ، والتشكيك فى القرآن الكريم بتوجيه المطاعن المفتراة إلى نقله وتدوينه ، والقراءات الثابتة فيه، وإلى مضامينه ، وبتوجيه المطاعن إلى ظاهرة الوحى التى تلقى بها الرسول كتاب ربه ، إلى غير ذلك من أمور لا تحصى ، وأساسها جميعاً الرغبة بإبطال الحق تعصباً وإتباعاً للهوى)[1].

*****

(١) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن الميدانى صـ١٢٢،١٢٣. ط/ دار القلم دمشق ط/ السابعة سنة ١٤١٤هـ. سنة ١٩٩٤م.

ب- علمنة الدول الإسلامية

من الأمور البديهة فى وصف رسالة الإسلام، أنها رسالا شاملة تستوعب جميع شئون الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً، فالإسلا ينظم الحياة فى المسجد والشارع ، والمدرسة والسوق ، ووسائل الإعلام ، وغير ذلك فى كل ما يتصل بالمجتمع ونواحى الحياة.

والدول الغربية التى تدين بالنصرانية كانت لها تجربة فيما يتعلق بهيمنة الكنيسة على أمور الدولة ، إذ إن الكنيسة كان لها سلطة مطلقة فى كل شئ . . .

بالإضافة إلى أنها وقفت جامدة أمام التطور العلمى ، والنهضة الصناعية فى أوربا فى بدايات عصر النهضة ؛ لدرجة أن الكنيسة حكمت بكفر كثير من العلماء الذين برعوا فى العلوم الطبيعية ، وأتوا بنظريات أو مكتشفات جديدة مثل جاليليو وغيره.

وقامت الثورة فى أوربا لفصل الكنيسة عن أمور الحكم وشئون الحياة ، فأصبحت الكنيسة فى واد ونظام الحكم ورجال الدولة فى واد آخر، فلا علاقة للقساوسة والرهبان والكنيسة بما يجرى فى الشارع، وما يسير فى المجتمع من أحداث ، ومن يومها أصبحت أوربا علمانية ، وكان لها ما يبرر ذلك بسبب جحود الكنيسة وتعنتها.

ولقد حاول المستشرقون أن يطبقوا أثر هذه التجربة فى البلاد الإسلامية ، فحاولوا فصل الدين عن واقع حياة المسلمين ، وهو ما يعرف بالنظام العلمانى.

وللأسف الشديد لقد نجحوا فى تحقيق هذه الهدف نجاحاً باهراً، فأقصوا القرآن عن الحكم والتشريع فى أغلب القوانين التى تحكم البلاد الإسلامية ، وحلت محله القوانين الوضعية ، والشرائع الأرضية، ونصب البشر أنفسهم آلهة يشرعون للناس من دون الله بما تليه عليهم أنفسهم وأهواؤهم ، وقد حذر الله المؤمنين من ذلك تحذيراً شديد فقال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ (١)

ومن الواقع المشاهد الذى لا يمكن إنكاره أن نرى دولة كتركيا التى كانت فى يوم ما عاصمة الخلافة الإسلامية يصل إلى مركز الحكم والتأثير فيها رجل يهودي علماني اصطنعن له دول أوربا بعض الانتصارات الوهمية حتى علا اسمه وانخدع به بعض شعراء المسلمين فكتبوا فيه قصائد تمجيد ومدح فلما استقرت له الأمور ودان له الناس، ألغى الخلافة الإسلامية وأعلن سقوطها، وبالتالى انفصلت تركيا عن الدول العربية والإسلامية التى كانت لها سيطرة عليها.

وهذا أمل غال كان يسعى إليه اليهود منذ أمد بعيد ولم يستطيعوا تحقيقه إلا على يد صنيعهم مصطفى كمال ولم ينتهى دوره عند هذا الحد بل منع الآذان ، وحارب اللسان العربى وأغلق المساجد وأعدم كثيراً من علماء المسلمين الذين تصدوا له.

ليس هذا فقط بل جعل دستور تركيا دستوراً علمانياً وكل من يصل إلى مركز الحكم أو التأثير لابد وأن يمضى على هذا الطريق

---

(١) سورة الشورى الآية (٢١).

الذى أسسه مصطفى كمال ومن يومها والنظام العلماني يقبض على تقاليد الحكم ، ومجالس التشريع بيد من حديد.

ويبغي المستشرقون من وراء هذا الهدف، اتهام الإسلام بعدم القدرة على مسايرة أحداث الحياة المتطورة ، وبالتالي يحلون القوانين الغربية الوضعية محل القوانين الإلهية المنزلة من عند الله - عز وجل -.

وإذا كان التيار العلماني له ما يبرره فى دول أوربا فإن الأمر يختلف فى واقع الإسلام ومجتمعاته ، فالإسلام يحث على البحث العلمى، ويجعله فريضة وفى الحديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(١).

كما أن الإسلام ليس فيه (بابوية) أى تسلط رجال الدين على الدين دون غيرهم ، وإنما هناك علماء الدين ، الذين يقومون بالدفاع عنه وهم غير معصومين من الخطأ ، والإسلام لا يشطر الحياة جزأين ، جزء فيها لله -عز وجل- وجزء فيها لغيره ، بل إن الإسلام يجعل الحياة كلها محراب للعبادة، عن طريق العمل، والسعى على المعاش، والزواج ، وتحصيل الولد، والطعام والشراب ، والنوم والرياضة ، والمذاكرة والتفوق، كلها عبادة ، ومن ثم فهناك فرق بين رسالة الإسلام الشاملة ، والنصرانية التى احتكرت السلطان باسم الدين.

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة عن أنس بن مالك فى كتاب جامع العلم (٢٢٤).

(إن التاريخ يحدثنا أن القوم لم يستطيعوا بلوغ التقدم العلمى والتقنية إلا بعد أن كافحوا الكنيسة وانتصروا عليها ونبذوها وراء ظهورهم ، فقد كانت الكنيسة تحرك أتباعها من التزود بالعلوم والمعارف وتحول بينهم وبين فهم الانجيل فهم وعى وإدراك ، فكيف أصبح التجديد من مستلزمات النصرانية، والتاريخ نفسه يحدثنا أيضاً أن المسلمين كانوا حملة مشاعل العلم والتقدم والحضارة منذ أنبثاق فجر تاريخهم.

وإن الحقيقة لتقول: إن التقدم والتجديد ليسا من مستلزمات النصرانية، وأن الشعوب المتقدمة فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية كانت بمحض الصدفة شعوباً نصرانية، فهناك شعوب عريقة فى النصرانية ولا تزال تعيش عيشة بعيدة عن التقدم والحضارة ، مثل شعب الاحباش وشعوب أمريكا اللاتينية.

وحقيقة ما يهدف إليه النصارى من دعوى التجديد والدعوة إليه هى دعوة المسلمين إلى نبذ الاسلام وتعاليمه جانباً، فإننا الآن نستقبل رمضان فنسمع همسات تقول: (إن الصيام يحول دون التقدم والتجديد) وتحاول تلك الهمسات أن تدعو المسلمين إلى التقدم والتجديد بترك الصيام جانباً وهكذا)[1].

*****

(١) الزحف إلى مكة صـ ٥٧

ج-التبعية للدول الغربيـــة:

من الأهـــداف الرئيســة للدراســات الاستشــراقية، تبعيــة الــدول العربية الإسلامية للعالم الغربى النصرانى ، فحينمـــا يوجــه المستشــرقون سهامهم إلى الإسلام لينـــالوا مـــن تعاليمــه ومبادئــه ، قــاصدين أن تــهتز صورته فى نفوس أتباعه ، وأن تخبو جــذوة الإيمــان مــن نفوســهم ، وأن يعيشوا فى حياتهم وهم بمعزل عــن أحكامــه وتشــريعاته ، حينئــذ يســهل على الدول الغربيــة أن تجعــل العــالم الإســلامى تابعــا لــها، وخاضعــا لسياستها، خاصة بعدما نجحوا فـــى تغيــب فريضــة الجــهاد عــن واقــع المسلمين ، وتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويـــلات، وإلـــى شــيع وأحــزاب، فخرج الاحتلال وبقيت آثـــاره.

يقول د/ محمد حسن خليفــة:(وبعــد انحســار الاســتعمار وجــدت الشعوب الإسلامية نفسها مرتبطة ثقافيــاً وفكريــاً بعــدة ثقافــات متناقضــة وسياسات متباينـــة ولــم تتمكــن حتــى الآن مــن العــودة إلــى نظامــها الإسلامي الأساسي الذي كـــان ســبب عظمتــها ورفعتــها فــى المــاضي والذي بدونه لم تقم لها قائمـــة)[1].

*****

(١) آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية د/ محمد حسن خليفة صـــ٤٨.

المبحث الرابع

وسائل المستشرقين

أتخذ المستشرقون عدة وسائل لتحقيق أهدافهم وأغراضهم، فلم يروا أى وسيلة تحقق مقصدهم إلا عمدوا إليها ، إما بوسائل قديمة ، وإما بعدة وسائل أخرى استحدثوها لتناسب طبيعة العصر، والتطورات الجديدة فيه، ويمكن إجمال هذه الوسائل فيما يأتى:

(١) تأليف الكتب.

(٢) إصدار المعاجم والموسوعات.

(٣) تحقيق كتب التراث وطباعتها.

(٤) إنشاء دور النشر العالمية.

(٥) ترجمة الكتب العربية.

(٦) إصدار المجلات السيارة.

(٧) اشتراكهم فى المجامع العلمية فى البلاد العربية.

(٨) عقد المؤتمرات الإقليمية والعالمية.

(٩) تأسيس أقسام الدراسات الإسلامية فى جامعاتهم.

(١٠) تخريج تلامذة من المسلمين العرب.

*****

(١) تأليف الكتب:

قام المستشرقون عبر تاريخهم الطويل بتأليف أعداد ضخمة من الكتب التى تتعلق بالدراسات الإسلامية والتى بلغت الآلاف وقد كتبوها بشتى اللغات المختلفة وقاموا بترجمة أكثرها إلى اللغة، وقد تناولت هذه الكتب كل ما يتعلق

بالإسلام والعربية من معارف وعلوم فكتبوا فى العقيدة والتشريع وفى التفسير وعلومه ، وفى الحديث وعلومه ، وفى الفقه وأصوله ، وفى السيرة والتاريخ، وفى الدعوة والأديان ، وفى اللغة العربية وآدابها.

ولقد أحصى إدوارد سعيد عدد الكتب التى ألفها المستشرقون من أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين بلغت ستين ألف كتاب[1] .

ولقد حوت أغلب مؤلفاتهم كثيرا من الدس أو التحريف المعتمد لبعض تعاليم الإسلام وآدابه ، ومن أمثلة هذه المؤلفات التى تمتلئ بالحقد على الإسلام والطعن فيه ما يأتى:-

١- حياة محمد من تأليف وليام موير.
٢- الإسلام من تأليف الفرد جيوم.
٣- الإسلام. ظهر بالفرنسية تأليف هنرى لامنس.
٤- الإسلام (تحد العقيدة) ظهر بالإنجليزية تأليف المبشر صموئيل زويمر.
٥- دعوة المتنبئ ظهر بالإنجليزية تأليف كينيث كراج.
٦- الإسلام اليوم ظهر بالإنجليزية تأليف أ.ج. آبسرى.
٧- تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي ظهر بالألمانية وترجم للعربية من تأليف جولد تسيهر.
٨- تاريخ العرب ظهر بالإنجليزية والعربية وطبع عدة طبعات تأليف فيليب حتى.
٩- اليهودية فى الإسلام ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهيم كاش.
١٠- عقيدة الإسلام ظهر بالإنجليزية تأليف ا.ج فينسينيك.
١١- الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون.
١٢- الحرب والسلام فى الإسلام ظهر بالإنجليزية تأليف مجيدى قدورى.

---

(١) انظر الاستشراق لإدوارد سعيد صـ٢١٦.

١٣- تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام ظهر بالإنجليزية تأليف د.ب ماكدونالد.

١٤- الاتجاهات الحديثة فى الإسلام ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف هـ.أ.ر. جب.

١٥- طريق الإسلام ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترك فى تأليفه ونشره هـ.أ.ر. جب.

١٦- التصوف فى الإسلام ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف رانيكلسون.

١٧- مصادر تاريخ القرآن ظهر بالإنجليزية من تأليف أرثر جيفرى.

١٨- أصول الإسلام فى بيئته المسيحية ظهر بالإنجليزية من تأليف ر.بل.

١٩- مقدمة القرآن ظهر بالإنجليزية من تأليف ر.بل.

٢٠- التطورات المبكرة فى الإسلام ظهر بالإنجليزية من تأليف د.س مرجليوث.

٢١- محمد ومطلع الإسلام. من تأليف د.س مرجليوث.

٢٢- الإسلام. من تأليف د.س مرجليوث.

٢٣- الجامعة الإسلامية من تأليف د.س مرجليوث.

٢٤- قنطرة إلى الإسلام ظهر بالإنجليزية من تأليف أريل بيثمان.

٢٥- إسلام العصور الوسطى -الإسلام- الأعياد المحمدية-الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية- دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية . . كلها بالإنجليزية من تأليف ج. فون وتباوم[1].

---

(١) انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى صـ٤٥٣- ٤٥٦ باختصار، ط/ مكتبة وهبة الثالثة عشر سنة ١٤١٧هـ سنة ١٩٩٧م.

ومن الكتب التى ألفها المستشرقون وتحمد لهم كجهد علمى ضخم يحتاج إليه من الباحثين فى الدراسات العربية والإسلامية كتاب (تاريخ الأدب العربى) للمستشرق الألمانى (كارل بروكلمان) المتوفى سنة ١٩٥٦م. وهو يعد مؤلف ضخم للمصنفات العربية والمخطوطة والمطبوعة، ويقع فى حوالى ٢٦٠٠ صفحة وله أهمية عند الباحثين العرب، قامت جامعة الدول العربية بترجمته إلى العربية ، بعد موافقة المؤلف ونشر سنة ١٩٩٣ ، ١٩٩٥م فى تسع مجلدات طبع ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب والمنظمة العربية للنشر والترجمة[١].

*****

(٢) إصدار المعاجم والموسوعات:

تعد المعاجم والقواميس والموسوعات مرجعا أساسيا لكل باحث يعمل فى مجال العلوم الإسلامية والعربية ومن ثم عكف المستشرقون على إصدار المعاجم والموسوعات التى تخدم هذا الغرض وتكون مرجعا لهم وللباحثين فى الوصول إلى الهدف المطلوب.

ومن الجدير بالذكر أن أول قاموس لاتينى عربى ظهر فى القرن ثانى عشر الميلادى على أيدى المستشرقين وكذا المعجم العربى اللاتينى الذى ألفه جورج فيلهلم فرايتاج (ت:١٨٦١) الذى لا يزال يستعمل حتى اليوم وهناك مستشرقون ينفقون سنى عمرهم فى إعداد مثل هذه المعاجم وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر فقد قضى

(١) انظر الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٨٦،٨٩.

أوجست فيشر (ت:١٩٤٩) أربعين عاما فى جمعه وتنسيقه. وتعاون معه عدد من المستشرقين)[١].

ولقد قام المستشرقون بعمل ضخم فى مجال المعاجم فقاموا بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى) وهو يقع فى ثمان مجلدات المجلد الثامن للأعلام الوارد ذكرهم فى كتب السنة وهذا المعجم يضم كتب السنة الست المشهورة بالإضافة إلى مسند الإمام أحمد وموطأ الإمام مالك ومسند الدارامى.

وقام بالانفاق عليه وتمويله ماديا مؤسسات ودول عديدة تعرف جميعها بالعداء للإسلام وحرب المسلمين وهذا المعجم - بلا شك قبل ظهور الكمبيوتر - إنجاز عظيم بالرغم مما سجله العلماء عليه من ملاحظات، فهو يمكن الباحث من الوصول إلى الحديث النبوى فى الكتب التسع فى سهولة ويسر.

ومن المعروف أن المستشرقين قاموا بوضعه فى مدة زمنية تقترب من الثلاثين عاما، وكان هدفهم من ذلك هو خدمة الدراسات الاستشراقية فقط فكانوا يقومون بطباعة خمسمائة نسخة فقط وتوزيعها على مراكز الدراسات الاستشراقية ، ولم يكن هدفهم خدمة الحديث النبوى أو الباحثين المسلمين وإلا سعوا إلى نشره وتوزيعه فى البلاد العربية كما يسعون إلى تسويق بضاعتهم وصناعتهم لكن قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

ومن الموسوعات التى قام المستشرقون بإعدادها وبذلوا فيها جهودا مضنية (دائرة المعارف الإسلامية) يقول د/ محمود زقزوق: (وعلى الرغم بما

---

(١) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٧٢.

لنا نحن المسلمين على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمى الدولى بين المستشرقين ، وقد تم إصدارها فى طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية فى الفترة من عام ١٩١٣م إلى عام ١٩٣٨ وقد تولت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجى الجامعة الأمريكية منذ عام ١٩٣٣م ، ولكنها لم تصل فى الترجمة إلا إلى حرف العين . . وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة فى أعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون وقام بهذه التعليقات مجموعة من العلماء المعروفين.

وقد تجاوز المستشرقون فيما بعد هذه الدائرة وقرروا فى مؤتمرهم الحادى والعشرين فى باريس عام ١٩٤٨ إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة تعاد فيها كتابة المقالات بناء على ما صدر من بحوث حديثة وما نشر من مخطوطات.

وبذلك يستدركون ما فاتهم وتأتى الموسوعة الجديدة مشتملة على النتائج الأخيرة للبحث العلمى فى تاريخ العالم الإسلامي وجغرافيته وشرع المستشرقون فى عملهم بجد ونشاط وبدأ ظهور الموسوعة الجديدة منذ عام ١٩٥٠م.

وقد صدر منها حتى الآن ستة مجلدات كبيرة ، ولا يزال العمل جاريا فى المجلدات المتبقية والطبعة الجديدة تتميز بالمقارنة مع الطبعة القديمة باعتدال آراء المستشرقين نسبيا فى تناولهم للقضايا الإسلامية الخلافية وكذلك بمشاركة كثير من العلماء المسلمين فى تحريرها) [١].

(١) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ ٧٠، ٧١.

يقول د/ عبد المتعال الجبرى:(لوحظ أن كتاب دائرة المعارف وغيرهم بذلوا جهوداً جبارة، ولكن كتاباتهم لم تسلم من الغمز واللمز والغرض المشبوه) (١).

وقد ذكر د/محمد البهى من الموسوعات المتطرفة المشبوهة للإسلام والشائعة الانتشار أولها شبه حجية عند المسلمين (دائرة المعارف الإسلامية) صدرت بعدة لغات حية وموجز دائرة المعارف الإسلامية - ودائرة معارف الدين والأخلاق - دائرة معارف العلوم الاجتماعية(٢).

*****

(٣) تحقيق كتب التراث وطباعتها:

استطاع المستشرقون إبان احتلال دولهم للشرق الإسلامي أن يستولوا على أعداد ضخمة من المخطوطات العربية والإسلامية النادرة وقد توصلوا لذلك بعدة طرق مختلفة منها ما هو شرعى وسلمى كالشراء ومنها ما هو عدوانى وقهرى كالسرقة والغصب والزام التجار والرحالة القادمين إلى بلاد المسلمين بتقديم هذه المخطوطات إلى دولهم، وغالبا ما كانوا يصلون إليها إلا عن طريق السطو.

وقد جمع المستشرقون من هذه المخطوطات مئات الآلاف من الكتب وقاموا بتصنيفها وفهرستها وتحقيق بعضها حسب قواعد التحقيق المعروفة وزيلوا هذه الكتب المحققة بفهارس للأعلام والبلدان والموضوعات ثم قاموا

---

(١) الاستشراق وجه الاستعمار الفكرى د/ عبد المتعال الجبرى صـ ٤٥ مكتبة وهبة، ط، الأولى سنة ١٤١٨ هـ سنة ١٩٩٧.

(٢) انظر الفكر الإسلامي الحديث صـ٤٣٥.

بطباعتها ونشرها. ومن الجدير بالذكر أن بعض كتب التراث لم تعرف عند علماء المسلمين بتداولها فى البلاد العربية إلا بعد أن قام المستشرقون بتحقيقها وطباعتها وإخراجها للنور ومن بين هذه الكتب ما يأتى:

١- سيرة ابن هشام. ٢- الإتقان للسيوطى.

٣- المغازى للواقدى. ٤- الكشاف للزمخشرى.

٥- تاريخ الطبرى. ٦- كتاب سيبويه..

٧- الاشتقاق لابن دريد. ٨- الأنساب للسمعانى.

٩- معجم الأدباء لياقوت الحموى. ١٠- تجارب الأمم لابن مسكويه.

١١- فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم.

١٢- اللمع لأبى نصر السرج. ١٣- البديع لابن المعتز.

١٤- حى بن يقظان لابن طفيل.

١٥- المختصر فى حساب الجبر والمقابلة للخوارزمى.

١٦- الملل والنحل للشهرستانى.

١٧- عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسقى.

١٨- فتوح الشام للأزدى البصرى. ١٩- فتوح الشام للواقدى.

٢٠- الكامل للمبرد. ٢١- الجمهرة لابن دريد.

٢٢- أخبار النحويين البصريين للسيرافى. ٢٣- المناظر لابن الهيثم.

٢٤- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى.

٢٥- الأحكام السلطانية للماوردى. ٢٦- فضائح الباطنية للغزالى.

٢٧- وتاريخ اليعقوبى. ٢٨- والفهرست لابن النديم.

٢٩- كشف الظنون لحاجى خليفة. ٣٠- التعريفات للجرجانى.

٣١- طبقات الحفاظ للذهبى.
٣٢- وفيات الأعيان لابن خلكان.
٣٣- تهذيب الأسماء للنووى.
٣٤- صحيح البخارى.
٣٥- المقتضى لابن جنى.
٣٦- مقالات الإسلاميين للأشعرى.
٣٧- الوافى بالوفيات للصفدى.
٣٨- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو عثمان الدانى.
٣٩- الرد الجميل على مدعى ألوهية المسيح بصريح الإنجيل للغزالى.
٤٠- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبة.
٤١- الأغانى للأصفهانى.
٤٢- الأوائل للسيوطى.
٤٣- الطبقات لابن سعد.
٤٤- عيون الأخبار لابن قتيبة.
٤٥- الفقه الأكبر لأبى حنيفة.

وعدد هائل من دواوين الشعر العربى فى عصوره المختلفة[1].

إن الباحث ليعجب من هذا العدد الضخم من كتب التراث التى خرجت إلى العالم الإسلامي على أيدى المستشرقين ولو ظلت هذه المخطوطات مع أخواتها القابعة فى مكتبة الأزهر أو دار الكتب لحرم المسلمون من آثار وجهود سلف الأمة وعلمائها السابقين.

وهذا ما دفع د/ زقزوق أن يقول (كلمة حق يجب أن تقال وهى أن انتقال هذا العدد الهائل من المخطوطات إلى أوروبا بوسائل شرعية أو غير شرعية قد هيأ لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة وعندما أقول هذا أشعر بالأسى والحيرة لحال المخطوطات النادرة فى كثير من بلادنا العربية والإسلامية وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة الاستفادة منها)[2].

*****

(١) انظر الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٦٥،٦٦.
(٢) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٦٤.

(٤) إنشاء دور النشر العالمية:

لا يقف جهد المستشرقين عند تأليف الكتب وإصدار المعاجم والموسوعات الدائم والمستمر، وإنما يتعدى دورهم إلى طباعة هذا النتاج الضخم وتوزيعه على أوسع نطاق فى العالم الغربى ، ومن ثم احتاج المستشرقون لإقامة وتأسيس دور نشر عالمية لطباعة مؤلفاتهم وتوزيعها فى الأماكن المختلفة فى العالم الغربى.

وقد قام العقيقى فى كتابه (المستشرقون) بذكر أهم وأبرز هذه الدور فى أوروبا منها:-

١-فى باريس دار أرنست لرو - وهنرى فلتر - ومزونيف - وجابلادا.
٢-وفى إنجلترا دار بروبستاين - وهيفر وألاده - وبرنار دكواريتش.
٣-وفى أسبانيا - دار مايسترى.
٤-وفى ألمانيا - دار شوفيتش.
٥-وفى هولندا - دار بريل.(١).

وتعرف هذه الدور بعدائها الشديد للإسلام ولا تقوم إلا على طباعة الكتب التى تذخر بالطعن فى الإسلام والنيل من تعاليمه.

*****

(٥) ترجمة الكتب العربية:

لقد بدأت الحركة الاستشراقية فى مهدها بترجمة كتب المسلمين الأوائل إبان ازدهار الحضارة الإسلامية فى الأندلس إلى لغة بلادهم للاستفادة مما فيها، وتوالت حركة الترجمة هذه إلى أن أصبحت من فكر جديد.

---

(١) انظر المستشرقون للعقيقى ٣٨٩/٣.

وهذا الأمر لا يشكل خطورة على المسلمين فى شئ إنما يكمن الخطورة فى أن كل ترجمة يقوم بها المستشرقون سواء كانت للقرآن الكريم أو الكتب العامة أن يضعوا لها مقدمة تعطى للقارئ من أول وهله صورة عن التصور الغربى للإسلام ، ومن ثم تقف هذه المقدمة حائلا بين القارئ والكتاب فتحول بينه وبين الفهم الصحيح للإسلام أو الدخول فيه واعتناقه.

وقد أولى المستشرقون عناية خاصة بترجمة القرآن الكريم فقد ظهرت أول ترجمة له فى القرن الثانى عشر الميلادى .

وقد قام أحد الباحثين برصد عدد الترجمات الغربية لمعانى القرآن الكريم بلغت ٦٧١ ترجمة فى ١٢١ لغة وبلغت الترجمات الجزئية والمختارات ٢٤٥ ترجمة حتى سنة ١٩٨٠ فى ٢٢ لغة أوربية[١].

وقد أورد د/ زقزوق تقريرا بعدد الترجمات المعروفة التى تمت فى عدد من اللغات الأوربية ، وكانت كالآتى:- فى اللغة الألمانية ١٤ ترجمة.

فى اللغة الإنجليزية ١٧ ترجمة.
فى اللغة الإيطالية ١٠ ترجمة.
فى اللغة الروسية ١٠ ترجمة.
فى اللغة الفرنسية ١١ ترجمة.
فى اللغة الأسبانية ٩ ترجمة.
فى اللغة اللاتينية ٧ ترجمة.
فى اللغة الهولندية ٦ ترجمة.[٢]

---

(١) انظر البيلوجرافيا العالمية لترجمات معانى القرآن الكريم نقلا عن الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ ١٧٠.

(٢) انظر الاستشراق د / محمود زقزوق صـ ٦٧ وإدوارد سعيد صـ ٢١٦ .

(٦) إصدار المجلات السيارة:

بذل المستشرقون جهودا كبيرة فى إصدار عدد ضخم من المجلات التى تحمل عناوين إسلامية بينما تضم فى داخلها كثيرا من الأفكار التنصيرية وقد أصدروا هذه المجلات بلغات شتى ويتم توزيعها فى بلاد عديدة (بلغت هذه المجلات ثلاثمائة مجلة متنوعة)[١].

ومن بين هذه المجلات التى يصدرها المستشرقون وتحمل عناوين إسلامية بينما هى فى الحقيقة تنصيرية ما يأتى:-

(١- مجلة العالم الإسلامي، مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى أمريكا وتوزع فى جميع أنحاء العالم.

٢- مجلة العالم الإسلامي، مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا وتوزع فى جميع أنحاء العالم.

٣- مجلة جمعية الدراسات الشرقية أنشأها المستشرقون الأمريكيون فى جامبى بولاية أوهايو، وكان لها بعض فروع فى أوروبا وكندا.

٤- مجلة شئون الشرق الأوسط، تصدر بالإنجليزية فى أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين واهتمامها موجه من الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية.

٥- مجلة الشرق الأوسط، مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات)[٢].

*****

(١) المستشرقون للعقيقى ٣/٣٩٠.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث د/ محمد البهى صـ٤٥٥،٤٥٦.

(٧) اشتراكهم فى المجامع العلمية الرسمية فى البلاد العربية:

منذ أن حل الاستعمار فى البلاد الإسلامية وقد حرص المستشـــرقون على التغلغل فى بعض مؤسسات المجتمع للوقوف على أســـرار المجتمعـــات الإسلامية ومعرفة دقائق الأمور لمحاولة الدس والتشكيل والنيل مـــن اللغـــة العربية لغة القرآن الكريم ، ومن ثم اشترك لفيف من المستشرقين فى المجامع العلمية اللغوية فى البلاد العربية الإسلامية مثل مصر ودمشق وغيرهما.

ومن بين هؤلاء المستشرقين الذين اشتركوا فى المجمع اللغـــوى فـــى مصر: (جب- ومرجليوت - وبنكلسون - وماسينيون - وفينسنك).

وفى المجمع العلمى بدمشق (جريفنى -وجوتهيل -وجويـــدى -وجـــى ســـو ونالينو -وهارتمان -وم.هوتمان -وماسينيون -ومرجليوت)[1].

وهؤلاء المستشرقون وأتباعهم من المستغربين وفق دوافـــع وأهـــداف مدروسة للنيل من لغة القرآن الكريم رغم جهلـــهم بـــروح اللغـــة العربيـــة وأسرارها ودقائق الأمور فيها ، إلا أنهم يهدفون فى النهايـــة للقضـــاء علـــى الفصحى وإحلال العامية مكانها ومن ثم يضعون فجوة هائلـــة بيـــن اللســـان العربى وبين قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه وإدراك مقـــاصده ومراميـــه، فيحولوا بين المسلمين والقرآن الكريم.

(وقد بدأ المستشرق الألمانى (ولهلم سبيتا ســـنة ١٨٨٠) ومديـــر دار الكتب المصرية فكتب كتابه قواعد اللغة العربية العامية فى مصر وتابع سبيتا كارل فورس الألمانى وكتب (اللهجة العربية الحديثة).

---

(١) انظر الاستشراق والتبشير إبراهيم خليل أحمد صـــ٦١،٦٢.

وقام القاضي الإنجليزي ولمور بتأليف كتاب سماه (لغة القاهرة ١٩٠٢) وتبعه المهندس الإنجليزي وليم ولكوكس الذى ترجم الإنجيل إلى العامية سنة ١٩٢٦. (١).

إن الدعوات التى تخرج من المستشرقين لها عدة شعب منها ما يطالب بإصلاح بعض قواعد اللغة، والبعض الآخر ينادى بالتحول عنها إلى العامية، وكتابة حروفها باللاتينية، وبعضها ينادى بما يسمونه الأدب الشعبى، ويقصدون بذلك كل ما هو متداول بغير العربية الفصحى مما يختلف فى البلد الواحد باختلاف القرى والبيئات.

حتى قال سلامة موسى (والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها حديثًا إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نفى قاسم أمين عن اللغة العربية صعوبتها وقال كلمته المشهورة "إن الأوربى يقرأ لكى يفهم وأما نحن فنفهم لكى نقرأ ، وقد اقترح أن يلغى الإعراب فنسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك ، وقام على أثره منشئ الوطنية الحديثة أحمد لطفى السيد فأشار باستعمال العامية أى لغة العامة)(٢).

ومما سبق يتبين أن الحرب موجهة إلى الفصحى للتخلص منها تارة عن طريق العامية أو لغة وسط بينهما أو تمصير اللغة.

*****

(٨) عقد المؤتمرات الإقليمية والعالمية:

المؤتمرات وسيلة هامة لتبادل الأفكار والخبرات والوقوف على كل جديد فى عالم المعرفة خاصة بعد عرض الأبحاث الجديدة ومناقشتها والتسليم بنتائجها.

(١) انظر الاتجاهات الوطنية د/ محمد محمد حسين صـ٢/٣٥٠.

(٢) الاتجاهات الوطنية ٢/٢٥٣.

واستغل المستشرقون هذه الوسيلة على أوسع نطاق ، فلهم مؤتمراتهم الإقليمية والعالمية التى تضم مئات من الباحثين المستشرقين الذين يجتمعون بصورة محددة ومنظمة لنقل الأفكار وتوارث الخبرات (وكان أول مؤتمر عقد سنة ١٨٧٣ فى باريس وتتابعت المؤتمرات حتى بلغت ثلاثين مؤتمرا كان آخرها فى سيدنى باستراليا عام ١٩٧١م)[١].

ولا شك أن كل مؤتمر يسفر عن نتائج وأبحاث وتقارير ومقترحات وهم يعتنون بهذه النتائج لتصبح مرجعا لهم ولغيرهم من المعنيين بالموضوعات التى طرحت فى المؤتمر.

*****

(٩) تأسيس أقسام الدراسات الإسلامية فى جامعاتهم:

لقد عمل المستشرقون منذ فترة طويلة على تأسيس كراس لتدريس اللغة العربية وآدابها فى جامعاتهم (ففى عام ١٥٣٩م تم إنشاء أول كرس للغة العربية فى الكوليج دى فرانس فى باريس وشغل هذا الكرس جيوم بوستيل ت: ١٥٨١ الذى يعد أول المستشرقين الحقيقيين ...) وقرار إنشاء كرس اللغة العربية فى جامعة كمبرج عام ١٦٣٦م)[٢].

(وقد صدر قرار مجمع فسينا الكنسى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراس اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية)[٣].

وانتشر العمل حتى غدا يعم جميع جامعات أوربا بل إن هناك معاهد متخصصة أنشئت خصيصا للدراسات الاستشراقية.

---

(١) المستشرقون للعقيقى ٣/٣٦٦.

(٢) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٣١.

(٣) انظر الاستشراق إدوارد سعيد صـ٨٠.

وهذه الأقسام والمعاهد تخرج أعدادا من الباحثين والدارسين الذين يخدمون الأهداف العليا لحكام دولهم بإخلاص وتفان.

ومن الغريب أن تستقطب هذه الأقسام أو تلك المعاهد أبناء المسلمين العرب ليدرسوا فيها ويحصلوا على درجات علمية من الماجستير أو الدكتوراة فى العلوم الإسلامية تحت إشراف المستشرقين أنفسهم، حتى يكونوا تابعين للغرب وهم فى بلاد المسلمين (وبلغ عدد هذه الأقسام فى الجامعات الغربية أكثر من ستين قسما فى أكثر من ستين جامعة فى الغرب على رأس الأقسام أساتذة يهود . . . ومما يجعل أثرهم خطيرا ومثمرا للسوء أنهم يعملون على سياسة تطبيع العلاقات بين الشرق والغرب ، استغلال المسلم الشرقى الذى جاء من أجل المؤهل الجامعى وعمل غسيل مخ له حتى يتحول فى طريقة تفكيره إلى التخبط الغربى ، غرس أسباب الاختلاف والتفرق بين المسلمين كالخلافات بين السنة والشيعة وبعض الخلافات الفقهية)[1].

*****

(١٠) تخريج تلامذة لهم من المسلمين العرب:

أبان المستشرق والمبشر الأمريكي الشهير (صموئيل زويمر) عما تخفيه صدور أعداء الإسلام فقال : (تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها)[2].

---

(١) الاستشراق وجه الاستعمار الفكرى د/ عبد المتعال محمد الجبرى صـ٦٩-٧٠، بتصرف واختصار ، ط/ مكتبة وهبة ط/ الأولى سنة ١٤١٦هـ سنة ١٩٩٥م.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ال شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ومساعد اليافى صـ٢٠ ط/المطبعة السلفية بالقاهرة ط/ الرابعة سنة ١٣٩٨هـ.

ومن ثم عمل المستشرقون على تخريج تلامذة لهم من العرب المسلمين الذين يدرسون فى معاهدهم وجامعاتهم ، ويبثون سمومهم فيما يدرسون ويقرأون فتتشبع عقولهم ببعض هذه السموم وبعد عودتهم إلى بلادهم يقوموا بترديد هذه الأفكار على أنها حقائق ومسلمات وعلى أنها ثمرة بحث وفكر واجتهاد لكنها فى حقيقة الأمر ما هى إلا ترديد لما يقوله المستشرقون وهذا هو أخطر ما يكون، وقد حذر النبى ﷺ من هذا الصنف فقال فى وصفهم إنهم دعاة على أبواب جهنم، يتكلمون بألسنتنا، ويتحدثون بلغتنا.

ومن خطورة هذا الصنف أنه من أهل البلاد الأصلية فهو أعلم بعاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم وكيفية النفوذ إلى نفوسهم والناس لا يقفون منه موقف العداء لأنه ليس أجنبيا عنهم ويسلمون لكلامه لأنه يحمل درجة علمية متميزة. لكنه فى الحقيقة كالسوس الذى ينخر فى عظام الأمة فيضعفها ثم يهدمها.

ومن أمثلة هذا الصنف ممن لمعت أسماؤهم فى مصر وآثارهم تشهد عليهم د/ طه حسين فى الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة فى مصر، وعلى هامش السيرة ، وعلى عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم.

لدرجة أن كثيرا من علماء المسلمين قالوا إن من يقرأ هذه الكتب السابقة ويقرأ كتب المستشرقين فى نفس الموضوعات يجدها متفقة فى الأهداف والنتائج ، أو أن هذه مؤلفاتهم حاشية على كتب المستشوقين ، أو أن هذه بضاعة المستشرقين ردت إليهم.

المبحث الخامس

منهج المستشرقين فى دراسة العلوم الإسلامية

يتميز البحث العلمى المنصف بعدة طرق ووسائل معروفه لدى أى باحث فى أى تخصص، ومن سمات الباحث والبحث ما يأتى:

(١) فالباحث المنصف الذى يتسم بالموضوعية يقوم بتجميع العناصر والأدلة والمقدمات، ثم يقوم بالنظر فيها ومناقشتها ليصل فى النهاية إلى نتيجة صحيحة تسفر عنها الدراسة.

(٢) والباحث يعتمد على الدقة فيما ينقل ، ثم يقوم بالتعليق على النص المنقول، سواء بالموافقة أو بالاعتراض ، مدعما رأيه بأدلة نقلية أو عقلية حتى يصل بالقارئ إلى درجة الإقناع.

(٣) والبحث العلمى يقتضى الإنصاف من الباحث ، سواء فيما يكتب عن دينه وأمته ، أو ما يكتبه عن الأديان والأمم الأخرى ، فلا يكيل بمكيالين ولا يقيس بمقياسين. فيجامل أمته ، ويتحامل على خصومه.

(٤) والبحث العلمى يقتضى من الباحث أن يأخذ كل معلومة من مصادرها ، ومن كتبها الأصلية الموضوعة لها ، فإذا ما أراد أن يكتب عن الإسلام ، لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية المعتمدة عند المسلمين فى ذلك، وهى القرآن الكريم والسنة النبوية وإذا ما أراد تفسير النص من نصوص أسفار العهدين القديم أو الجديد فلابد من الرجوع إلى كتب الشروح دون الاعتماد على فهم الباحث للنص.

(٥) والبحث العلمى يتطلب الحكمة، التى تعنى وضع الشيء فى موضعه ، فالأمور الصغيرة تعامل على كونها صغيرة ، والقضايا الكبيرة تعامل على قدرها ، دون تهويل فى الأولى ، أو تهوين فى الثانية.

فهذه قواعد وأصول ثابتة يتطلبها البحث العلمى المجرد الذى يخدم البشرية جمعاء، فهل المستشرقون فى كتاباتهم التزموا بهذه المبادئ وساروا عليها؟ أم أنهم اتخذوا طرقا أخرى تتمشى مع أهوائهم وموقفهم المسبق من الإسلام والمسلمين؟

ومن خلال قراءة كتب المستشرقين وفكرهم وآثارهم وجهودهم ، تبين أن منهجهم فى دراسة العلوم الإسلامية يقوم على ما يأتى:

(١) التحامل على الإسلام وعدم الإنصاف.

(٢) الكتابة عن الإسلام من خلال التصورات الغربية.

(٣) غياب الأمانة العلمية فى نقل النصوص والاستشهادات.

*****

(١) التحامل على الإسلام وعدم الإنصاف.

لا يزال الدافع القوى الذى يقف خلف الدراسات الإسلامية من قبل المستشرقين، هو العداء الواضح للإسلام والنيل من تعاليمه، ومن ثم جاءت دراساتهم الإسلامية والعربية بعيده عن الموضوعية والإنصاف ، فكثير من مؤلفاتهم التى تعج بها مكتباتهم تمتلئ بالتجريح الصريح.

ومنهجهم يقوم على اختيار النصوص التى تتوافق مع أهوائهم فقط، فيختارون الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أو الآراء الشاذة والإسرائيليات، ويبنون عليها أحكاما، ويتجاهلون ما ورد فى الموضوع نفسه من أحاديث صحاح، وما يفعلون ذلك كله إلا برغبة عارمة من داخلهم أن يتجاهلوا

محاسن الإسلام ، ويتبعون أهوائهم من أجل النيل من تعاليمه. ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوه فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ (١).

يقول أ/ أحمد فارس الشدياق: (إن هؤلاء الأساتيذ لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلا ، فوثبوا توثبا ، ومن تخرج فيه بشئ فإنما تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله ، وكل منهم إذا درس فى إحدى لغات الشرق ، أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء ، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن، فرجح منه المرجوح ، وفضل المفضول)(٢).

*****

(٢) الكتابة عن الإسلام من خلال التصورات الغربية.

يتوارث المستشرقون آرائهم حول الإسلام من جيل إلى جيل ، فإذا درس السابقون قضية وتحاملوا فيها وتوصلوا إلى نتائج معينه لها ، أصبحت هذه النتائج مسلمة عندهم دون مناقشة.

والبحث العلمى يقتضى التعرف على الإسلام من مصادره هو، من القرآن والسنة وتاريخ الرعيل الأول من الصحابة ، لكن السمت الغالب على المستشرقين يتجاهلون هذه البديهة ويتعاملون مع الإسلام بميزان آخر ،

(١) سورة الجاثية الآية (٢٣).

(٢) ذيل الفارق أ/أحمد فارس الشدياق صـ ٢ نقلا عن الاستشراق وجه الاستعمار الغربى د/ عبد المتعال الجبرى.

غريب كل الغرابة ، وبعيد كل البعد عن الصواب لمن يبحث عن الحقيقة أو يلتمسها من مصدرها ومنبعها.

*****

(٣) غياب الأمانة العلمية فى نقل النصوص والاستشهادات.

لما كان التحامل وعدم الأنصاف هو ديدن بعض المستشرقين، كانت نظرتهم للعلوم الإسلامية والتاريخ الإسلامي نظرة بعيدة عن الصواب، فهم يبصرون الحقائق بمرآة مقعرة ، تصغر مفاخر الإسلام ومميزاته ، بل أحيانا تشوهها لتقلب الحقائق والبديهات ، كأنها أوهام وأساطير.

ومن أدلة غياب الأمانة العلمية فى النقل عند بعض المستشرقين ما قام به المستشرق اليهودى (جولد تسهير) حيث أدعى أن خلفاء بني أمية شجعوا على وضع الأحاديث التى تنال من علي وأصحابه يقول د/ مصطفى السباعي عن جولد تسيهر: رواية تقول أن معاوية قال للمغيرة بن شعبة (لا تهمل فى أن تسب عليا ، وأن تطلب الرحمة لعثمان ، وأن تسب أصحاب على ، وتضطهد من أحاديثهم، وعلى الضد من هذا أن تمدح عثمان وأهله، وأن تقربهم وأن تسمع إليهم ، ثم يقول جولد تسيهر: وعلى هذا الأساس قامت أحاديث الأمويين ضد على.

يقول الدكتور السباعي معلقا على كلام جولد تسيهر :" أما قول معاوية وأن تسب أصحاب على ، وتضطهد من أحاديثهم ، واستدلال المستشرقين على أن بعض الحديث قد اضطهد ، فها هنا مجال العبرة ، لمن يحسن الظن بعلم هؤلاء المستشرقين وأمانتهم ، إن أصل العبارة كما رواها الطبري: (لا تحجم عن شتم على وذريته ، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ،

وإطراء شيعه عثمان، والإدناء إليهم ، والاستماع منهم، فانظر كيف حـــرف هذا المستشرق لفظ (والإقصاء لهم) بلفظ (وتضطهد من أحاديثهم) فان كلمـــه أحاديثهم لا وجود لها فى أصل النص ، أفرأيت كيف تكون أمانة العلماء)[1].

•••••

(١) السنة ومكانتها فى التشريع د/ مصطفـــى الســباعى صـــ٢٠٤،٢٠٥/ ط المكتـــب الإسلامى.

المبحث السادس

تصنيف المستشرقين واتجاهاتهم

يمكن تقسيم المستشرقين إلى طبقات مختلفة:

(١) من حيث الزمن. (٢) ومن حيث الاتجاه.

(١)أما تصنيفهم من حيث الزمن فيقول مالك بن نبى: (فهناك طبقة القدماء مثل جرير، دورييك، والقديس توماس الاكوينى، وطبقة المحدثين مثل كاره ووفو، وجولد تسيهر.

(٢) ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها) [١]

أما تقسيمهم من حيث الزمن فهذا أمر بدهى لا يحتاج إلى إيضاح أو بيان ، شأنه شأن علماء المسلمين من السلف والخلف، والفترة الزمنية القديمة أو الحديثة لم تشكل جيلا موحدا من المستشرقين فى الإنصاف أو التحامل ، فلا يمكن اعتبارها مقياسا للحكم على المستشرقين.

إنما التقسيم الثاني وهو الخاص بالاتجاه فهذا هو الأهم ، لأنه يخص القدماء والمحدثين ، فمنهم فريق مادح معتدل منصف فى كتاباتهم وأراءهم، يستهدفون البحث عن الحقيقة المجردة من الهوى ، جاءت بحوثهم منصفة لتوافق ما جاء به الإسلام من تعاليم وآداب وأخلاق.

وهذا النفر يمثله قله قليلة فى مساحة المستشرقين الواسعة عبر القرون السالفة، وقد دفعتهم نتائج بحوثهم المجردة إلى اعتناق الإسلام والدخول فيه.

---

(١) إنتاج المستشرقين لمالك بن نبى صـ٧.

يقول د/ محمود زقزوق عن هذا الصنف المعتدل من المستشـــرقين: (وهناك فريق من المستشرقين التزم فـــى دراســته للإســلام بالموضوعيــة والنزاهة العلمية ، وأنصف الإسلام والمسلمين وقد أدى الأمر ببعضهم إلـــى اعتناق الإسلام ، وهناك فريق من المستشرقين توفر علـــى دراســة اللغــة العربية، وفقه اللغة والأدب العربى أو اشتغل بالمعاجم ومـــا شــابه ذلــك ، ولهؤلاء بحوث قيمة ومفيدة) (١).

يقول مالك بن نبى: (ولا شك أن المستشرقين المادحين مثل رينو الذى ترجم جغرافية أبى الفداء فى أواسط القرن الماضي ومثل دوزى الذى بعــث قلمه قرون الأنوار العربية فى أسبانيا ومثل سيديو الذى جاهد جهاد الأبطــال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربى أبـــى الوفــاء لقــب المكتشف لما يسمى فى علم الهيأة "القاعدة الثانية لحركة القمر" ومثل آســين بلاثيوس الذى كشف عن المصادر العربية الكوميدية الإلهيــة ، ولا شــك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية، وللتاريخ ، وكل ذلك مـــن أجــل مجتمعهم الغربي)(٢).

وأما الصنف الذى تجاوز حد الاعتــدال والإنصــاف ، وجنــح إلــى التعصب والهوى وله خلفية سوداء ، وآراء شاذة، يبحث لـــها عــن أدلــة ، ويتصيد لها الأخطاء ، ويفسر الأحداث وفق تصوراته الخاصة ورؤيته الفردية التى ورثها عن السابقين ، فهذا الصنف هو الغالب على فئات المستشـــرقين، يقول عنهم د/ محمود زقزوق فى توصيفهم (أ) فريق من طلاب الأســاطير والغرائب ، من هؤلاء الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالـــهم المريــض

(١) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـــ٧٩.

(٢) إنتاج المستشرقين صـــ١٠.

حوله الأقاصيص الكاذبة. ولم يكن لهذا الفريق فى سوق العلم نصيب. وقد ظهر هذا الفريق فى بداية نشأة الاستشراق. واختفى بالتدريج.

(ب) فريق من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم فى خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية. وقد أشرنا إليهم عند حديثنا عن الاستشراق والاستعمار.

(جـ) وفريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعداوة وطعنا فى الإسلام من أمثال "بدويل" و "بريدو" و"سيل" من القرن الثامن عشر. وقد كان لكتابات بعضهم مثل "سيل" أثر كبير فى الغرب لمدة طويلة. ويتساوى مع هؤلاء فى الحقد والعداوة للإسلام مجموعة من الملحدين الذين ينالون من الإسلام نيلهم من المسيحية.

(د) فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمى ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط ضعف فى الإسلام ، ويشككون فى صحة الرسالة الإسلامية، وفى التوحيد الإسلامى، وفى القرآن من حيث مصدره أو نصه، وفى الحديث من حيث صحته، وفى قيمة الفقه الإسلامى الذاتية، وفى قدرة اللغة العربية على التطور .. إلخ.)[1].

نماذج من أسماء المستشرقين المتحاملين على الإسلام

١.أ.ج أدبرى : مستشرق إنجليزى معروف بتعصبه ضد الإسلام والمسلمين، من محرري دائرة المعارف الإسلامية، عمل بجامعة كامبردج ، وتخرج على يديه كثير من المصرين الذي تخصصوا فى الدراسات الإسلامية

(١) الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٧٨،٧٩.

١٢.**الفرد جيوم:** إنجليزى معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام ، حاضر فى جامعات إنجلترا وأمريكا، وتغلب على كتاباته وأرائه الروح التبشيرية.

١٣.**بارون كارادى فو :** فرنسى متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين ساهم بنصيب بارز فى تحرير دائرة المعارف الإسلامية.

١٤.**هـ أ جب :** أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين، كان عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر، عمل استاذا للدراسات الإسلامية والعربية بجامعة هارفورد الأمريكية، وهو من كبار محررى وناشرى دائرة المعارف الإسلامية، له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة، وهذا هو سر خطورته.

١٥.**جولد تسيهر :** مجرى عرف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، وهو من محررى دائرة المعارف الإسلامية، وكتب عن القرآن والحديث.

١٦.**جون ما يناردـ** أمريكى متعصب، ساهم فى تحرير مجلة جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية.

١٧.**صموئيل زويمر:** مستشرق ومبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس مجلة العالم الإسلامى الأمريكية التبشيرية ، تقديرا لجهوده فى مجال التنصير؛ أنشأ الأمريكيون وقف باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

١٨.**غ. خون جروبناوم:** من أصل ألمانى يهودى ، ذهب إلى أمريكا للتدرسي بجامعتها، عمل أستاذا بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام ، وفى جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين ، وهو من المكثرين فى كتاباته.